جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

شعرية الأطلال عند الشريف الرضي

أكرم علي عنبر*
كلية الاسراء الجامعة

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2019/6/16
تاريخ التعديل : 2019/6/30
قبول النشر: 2019 /9/5
متوفر على النت:2019/12/15

الكلمات المفتاحية :
شعرية الاطلال
الشريف الرضي

الملخص

تناول البحث مشهد الأطلال في قصائد الشريف الرضية ، وما يميزه من العناصر ، والأساليب الأدبية والفنية ، من خلال تتبع هذه المقاطع . وظهر لنا أهميتها ، ودورها الكبير ؛ بوصفها احدى مكونات الصورة الكلية للقصيدة ، ولكونها عبرت عن تجربة الشاعر وأحاسيسه ؛ فكانت استذكاراً للماضي السعيد ، وتعبيراً عن رفضه للقيود المجتمعية ، ومساءلة واعية للزمن . فحاول من خلال بعض الاليات أن يظهر منتصراً لا منهزماً بوجه اندثار المكان . تكون البحث من مقدمة وضحت أهمية الأطلال وتناولها عبر الشعر القديم ، ثم متن البحث ، فخاتمة بينت أهم ما توصلنا اليه ، وألحقنا ذلك بقائمة بأهم المصادر والمراجع .

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

المقدمة

إن الشعر العربي وعبر تاريخه الطويل مثل حياة المجتمع العربي خير تمثيل ؛ فكان انعكاساً لواقعهم ، واستذكاراً لماضيهم ، فضلاً عن كونه ميداناً رحباً لأحلامهم. وقد تكونت القصيدة العربية القديمة من عدد من المشاهد ، والمقاطع التي كانت تمتاز بموضوع معين واشتراطات محددة تتميز بشكل واضح ؛ لكنها مع وجود الحدود المائزة والفاصلة تشترك فيما بينها لتشكل كائناً واحداً مكوناً من عدة اجزاء .

ومن بين هذه المشاهد (مشهد الطلل) الذي عادة ما يتم الابتداء به ؛ فيكون مستهلاً للولوج الى عالم النص ، ما يشكل عتبةً للقصيدة . وعادة ما كان يشتمل هذا المقطع على استذكار الماضي ، وسعادته التي افناها الزمان ؛ نظراً لكون الوقوف على هذا الطلل ، هو مساءلة من الشاعر لماضيه ، ومحاورة مع مشاعره وأحاسيسه ، فضلاً عن كونه مسرحاً مهماً لمشكلات الكون ، والإنسان ، والزمان . وقد امتازت أغلب المقدمات الطللية بالبعد عن التصنع ، والتكلف ، والوضوح ، والبعد عن الخيال فلم يتكلف الشعراء بها ؛ إذ عبروا عن تجاربهم وانفعالاتهم تعبيراً مباشراً ؛ وسبب ذلك أنها تصدر عن ذواتهم وقد أراد الشعراء أن يعبروا عن شحنات نفوسهم بما تفيض به طبائعهم لعله عزاء وتنفيس لهم .[1]

*الناشر الرئيسي : E-mail : akrm@gmail.com

إن الاطلال هي موطن الحبيبة قبل الرحيل ، وحينما ينظر اليها الشاعر فهو يتذكر موضع الوصال ، وموطن الحب ، وذكرى اللقاء ؛ فتهيج المشاعر ، وتثور الأحاسيس ؛ فيقف عليها مسلماً نفسه لتلك الذكريات . وقد ((اهتم بها الشعراء اهتماماً لافتاً ، جعلها تخرج بالصورة الأزهى ، والأمثل ، فقد حاولوا خلالها تصوير تلك المواقف ، تصويراً فنياً دقيقاً ، وضمنوها ما انطبعت به نفوسهم من حسن الصياغة وجودة السبك)) (2) إنه موقف انساني بحت تتداعى فيه العواطف فتمتزج بالذكريات لتشكل هاجساً شعرياً يفيض علينا بمادة شعرية خصبة تستحق منا أن نقف عليها ، لنستبطن تلك التجربة ، ونحاول أن نعيشها كما عاشها الشاعر . ومن هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع ليكون مدار بحثنا في شعر الشريف الرضي ، الذي يعد علماً من أعلام القرن الرابع الهجري ، وأبرز شعرائه . واعتمدنا في بحثنا على اسلوب تقصي عناصر الإبداع والجمال في المقطع الطللي : من حيث اختيار المفردة الشعرية ، واستخدام الأساليب الفنية ، وترتيب المعاني بما يتناسب والحالة الشعورية الممتدة على طول القصيدة الى غير ذلك من السمات التي تعطي للنص صفة الشعرية .

شعرية الأطلال عند الشريف الرضي

إن الشاعر بدلاً من أن يصف الحبيبة ، ويتغنى بجمالها ، أو مفاتنها نراه يستعيض عن ذلك بوصف الطلل ، الذي يشكل في تلك اللحظة مهيمناً موضوعياً له ؛ فالحبيبة البعيدة حل محلها الطلل القريب ، فكأن الطلل هو (الحبيبة المنشودة) وهذا يؤكد أن الأطلال وثيقة الصلة بالمحبوبة ؛ فاذا كانت الحبيبة هي المثير الطبيعي لعاطفة الحب فإن الأطلال هي المثير المقارن أو الصناعي .(3)

ويمكن أن نقول إن الشريف الرضي (وهو الشاعر المدني) وجد في المقدمة الطللية ضالته ، حين تقمص شخصية الشاعر البدوي ، الذي يعيش حياته في الصحراء ، ويتنقل من منزل الى آخر ، ملاحظاً في كل مرة ارتحال الحبيبة مع قبيلتها تاركة الديار . وذلك يعكس واقعاً نفسياً متأزماً كان يعيشه ، فهو يعرض لنا من خلال هذه اللحظة صحراء مجتمعه القاحلة ، التي لا ماء فيها يبرد الغليل ، ولا ظلاً يستفيء به من حرارة الغربة ؛ فما له في تلك الحالة الا اجترار الماضي الذي يرسمه في صورة محبوبة كانت تتعاطى معه الحب والهوى يقول في احدى مقاطعه الطللية من الكامل [4] :

أمعاهد الأحباب هل عود الى
مغدى نبل به الجوى ومراح

يكفيك من أنفاسنا ودموعنا
أن تمطري من بعدنا وتراحي

فلرب عيش فيك رق نسيمه
كالماء رق على جنوب بطاح

وتغزل كصبا الأصائل أيقظت
ريا خزامى باللوى وأقاح

كم فيك من صاحي الشمائل منتش
بالذل أو مرضى العيون صحاح

فسقى اللوى صوب الغمام ودره
وسقى النوازل فيه صوب الراح

وغدا فروح ذاك عن تلك الربى
وسرى فروح ذا عن الأرواح

إذا تحدثنا عن أثر الزمن في نفس الشاعر ، وعقله ، وجدنا ضالتنا في المقطع الطللي ، فهو الأقدر على حمل مسؤولية البوح الذاتي ، ومناجاة الروح ؛ فنلاحظ الانتقالة السريعة للشاعر بين ذكر الماضي المتعلق بالصبا والشباب ، وبين نداء الأطلال بقوله (أمعاهد الاحباب) فتلك الديار قريبة الى نفسه الى الدرجة التي يشعر بها وكأنها قادرة على مجاوبته ، فهو يجد الراحة النفسية الكاملة في مناجاته لها ؛ بل إنه عمد الى اضافة مفردة المعاهد الى الأحباب ؛ كي تكون عامة شاملة تنطوي على كل من يحب ، وما يحب اشخاصاً ، وزمناً ، وذكريات .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

إن الغرض العام من القصيدة هو الفخر ، واذا تتبعنا صور ، ومعاني الفخر التي استعملها وجدناها نابعة من الماضي . فهو يفخر بآبائه ، وأجداده ، ومعاركهم ، ومواقفهم ؛ لذلك فإن أول ما ذكره بعد نداء الأطلال والديار هو السؤال عن امكانية العودة الزمانية ، والمكانية بذلك الربع الى ما كان عليه . وهذا يعني أن الشاعر نظر الى الأطلال من حيث هي التجسيد الرمزي الأعمق دلالة لفاعلية الزمن [5] وهي رغبة نابعة من حنين الى ذلك الماضي التليد . وما يمكن تأشيره في هذا الموقف الشعري ، هو الاهتمام الخاص من الشاعر في أن يجمع امنياته ورغباته في إطار زمني مغلق بحدي (البداية والنهاية) ، من خلال استثماره لمعنى (الغدو والرواح) ، فالغدو هو البداية ، بداية اليوم ، أو بداية النهار ، أو بداية العمل والرواح هو النهاية لكل ذلك ، وما بينهما تكمن الحياة التي يرغب بها الشاعر ، حياة عبر عنها بما (نبل به الجوى) .

ولشدة تعلق المقطع الطللي بالمعنى العام للقصيدة نلاحظ ان الشاعر حينما أراد الدعوة للأطلال بالسقيا لم يستمطر السماء ولا دعا الغيث بل قال انه سيروي الديار بدموعه هو ، فمن سيكون أشفق منه على هذه الديار وأنفاسه الحرى قادرة على بعث أمطار دموعه ليجد في ذلك الراحة النفسية المنشودة .

وما يميز الشريف الرضي في المقطع الطللي ، هو وضوح آثار الحضارة عليه ؛ فهو لا يتحدث عن بعر الآرام ، ولا يذكر الحيوان ، ولا يصف بقايا الأطلال كما يرد ذلك في الأشعار القديمة ، إنما جل ما يذكره هو استذكار الماضي السعيد ، الذي كان فيه عوده غضاً طرياً ، يحيا حياة مليئة باللعب ، والتصابي .

وقد يبدو الإحساس بالزمن مختلفاً عند الشاعر ، فالطلل ((له اتجاهان زمنيان : الأول لحظة تأريخية لزمن انقضى ، والثاني قاعدة لتكوين زمن جديد)) (6) ، فبينما الزمن الطبيعي يسير في خط تصاعدي يترك أثره الواضح على البشر ، نجد الشاعر وهو يرى الماضي البعيد زمناً قريباً ؛ والعلة في ذلك أن الماضي مليء بالأحداث السعيدة ، والذكريات الجميلة ، يسترجعه الانسان دائماً ؛ فيجعل صوره ماثلة أمامه ، وكأنها شريط سينمائي يمكن العودة اليه متى ما شاء ، فكذلك ينشأ إحساس بأن هذا الزمن قريب نفسيا وإن بعد زمانياً يقول من الكامل (7) :

يا دارُ من قتل الهوى بعدي
وجدوا ولا مثل الذي عندي

لا تعجبي يا دارُ أنهمُ
أبدوا ومن يك واجداً يُبدي

ربع قريب العهد أحسبه
بالظاعنين وقد مضى عهدي

لو حركت ذاك الرماد يد
لرأت بقايا الجمر والوقد

إني ليُعجبني حماك اذا
نشر النسيمُ ذوائب الرند

والماء تصقله الرياح كما
أبدى العياب مضاعف السرد

حيا مريض ثراك غادية
تعطيه ريح العنبر الورد

فنلاحظ القدرة الفنية المتميزة للشاعر في عرض جدلية الإحساس بالزمن في البيتين الثالث والرابع ، فعلى الرغم من مضي العهد بذلك الربع ، إلا أن الشاعر ولشدة تعلقه عاطفياً بالذكريات المرتبطة بالمكان ، يظن أنه لو حرك الموقد ؛ لرأى بقايا من الجمر كامنة فيه . وهذا يؤكد أن الشعراء في المقدمة الطللية يرتدون بأبصارهم ، وأنظارهم الى الوراء، الى أغلى جزء مضى وانقضى من حياتهم (8).

ومن العناصر التي لا ينفك المقطع الطللي عن الإفادة منها هو عنصر المطر، إذ نراه في أغلب طلليات الشاعر موجوداً لكنه يظهر بقوة حيناً وأحياناً يكاد يبين من خلف الستار يقول من الوافر [9]:

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

لحيا عهدهن حيا العهاد

ندى يغتص منه كل ناد

وأطلالا يطل الدمع فيها

اذا بدت الحواضر والبوادي

رواء لا تريح الريح فيها

من الإدلاج نتاج الغوادي

اذا مات الحيا بين السواري

أتاها بالغوادي في معاد

مجاهل منزل كانت زمانا

معالم كل مكرمة وآد

تكف ربوعها أيدي الأماني

وقد عانقن أعناق الأيادي

اذا حل الحبى أمل طريف

حبته مهجةُ المال التلاد

هناك إلحاح شديد على دعوة المطر للنزول على الأطلال ، فهو يدعو بالمطر الغزير ليلاً ونهاراً ، فما تنفك غيمة على إنزال مطرها ، حتى تأتي الأخرى مليئة بالغيث لتروي هذه الأرض وكأن الأخيرة عطشى لسنوات عديدة مضت ، كانت تنتظر اللحظة التي يقف فيها الشاعر (وهي اللحظة الطللية) لترتوي من الماء المنهمر. فما إلحاح الشاعر على نزول المطر ، إلا إلحاح على استعادة الديار لمعالمها ، ونشاطها ، وكأن الماء الذي هو سر الحياة ، يملك القدرة العجيبة على إحياء الآثار ، واستعادة كينونتها الحية ، ((والشاعر لا يبكي عقم الطبيعة ، وانحباس المطر إلا إذا كان يشغل باله))(10) . وما يمكن تأشيره هنا أن المقطع الشعري وصف هذه الأطلال بـ (المعالم المجهولة) ، بينما كانت في الماضي البعيد عوالم معروفة ؛ كونها مكان مألوف للشجاعة، والقوة، والضيافة، والنجدة .

واللافت للنظر في هذا النص ، هو اهتمام الشاعر بتنوع أساليبه الفنية في عرض المعنى، فقد استعمل الجناس في أكثر من مقطع، (لحيا عهدهن حيا العهاد ، أطلالاً يطل ، تريح الريح ، عانقن أعناق) ، وكذلك التضاد في (الحواضر والبوادي ، السواري والغوادي ، مجاهل ومعالم ، طريف والتلاد) ، فالشاعر لا يهتم بوظيفة التوصيل فحسب بل ((يسعى كذلك الى توليد شعور ما لدى المتلقي ؛ وهذا ما يجعله يستعين بعدد من العناصر التي تشكل اللغة عنصراً مهماً فيها))(11)

وقد بدت فاعلية الأطلال فيما عرضناه سابقاً من خلال استثمار اللحظة الطللية في استذكار الماضي السعيد ، والذكريات التي تبعث السرور على نفس الشاعر، لكن في المقطع الآتي ، يقف على الديار مستذكرا حادثة مأساوية مؤلمة ، هي حادثة كربلاء ، وذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته ، وأصحابه يقول من الكامل (12):

هذي المنازلُ بالغَميمِ فنادِها

واسْكُبْ سَخِيّ العين بعدَ جَمادِها

إنْ كانَ دَيْنٌ للمعالمِ فاقضِهِ

أو مُهجةٌ عند الطلول ففادها

يا هلْ تَبُلّ من الغليل إليهمُ

إشراقةٌ للركبِ فوق نجادها

نُؤيٌ كمنعَطف الحنية دونه

سُحمُ الخدود لهن إرثُ رمادها

ومناطُ اطناب ومقعدُ فتية

تخبو زنادُ الحيّ غيرَ زنادها

ومجرّ أرسانِ الجيادِ لغلمةٍ

سجفوا البيوتَ بشُقرها ووِرَادها

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

ولقد حَبستُ على الديار عصابة
مضمومةَ الأيدي الى أكبادها

حسرى تَجاوبُ بالبكاء عيونُها

وتعُطّ بالزفرات في أبرادها

فأول ما يمكن ملاحظته ، هو تلك الدعوة الشديدة الى البكاء الحار ، وذرف العبرات لأداء حقوق تلك الوقفة ، فرهافة حس الأديب ، هي التي تجعله شديد التأثر بما يمر به ؛ فيهتز له اهتزازاً عنيفاً ، يدفعه الى التعبير عن تجربته تلك في صورة فنية مؤثرة [13] ، ومن ثم ذلك الاستطراد في وصف ما يثيره من العناصر المكانية للطلل (النؤي ، مناط الأطناب ، مقاعد الفتية ، مجر أرسان الجياد) ،إنها ما تثير فيه المشاعر ، والأحاسيس ؛ ولذلك حرص على ذكرها بالتفصيل . والمقطع بعد ذلك تشيع فيه العاطفة الجياشة ؛ إذ يورد الشاعر صوراً ، وتراكيب تدل على عمق الإحساس بالفاجعة ، وهذا يؤكد أن المقدمة الطللية ذات قوة ، وعاطفة ، ومازالت تؤثر على نفس القارئ الحاضر الى جانب إنسانيتها ، وشموليتها لكل زمان ومكان .(14)

إن افتتاح الشاعر قصيدته بالوقوف على الطلل ، يبرز للمتلقي حقيقة الألفة والانسجام بينه ، وبين المكان، إذ يتحول الأخير الى ذاكرة حافظة للفعل الإنساني، وأثره ، ومن ثم يصبح الطلل نسقاً مولداً لأنساق مضادة ، تبين موقف الإنسان ورؤيته للنسقية الطللية . [15] فالحب هو العاطفة المحركة لوعي الشاعر ، والباعث الأساس لقوله ، إذ بدونه ما كنا لنحصل على هذا الكم الهائل من الأشعار. والوقفة الطللية عند الرضي تكون مسرحاً في أحيان كثيرة ، لعرض الهوى ومغامراته ، حتى يمكننا القول إن الشاعر يغور في أعماق نفسه ليؤوب منها بذكريات الحب والهوى ، فلا تطل علينا إلا من خلال مشهد الوقوف على الأطلال ؛ ولذلك يحق لنا القول إن ذكر الشاعر للديار، والأطلال ، هو ذكر في الحقيقة للحبيبة الغائبة ، سواء كانت هذه الحبيبة حقيقة تأريخية ، أم متخيلة عاشها الشاعر في زمن مضى من حياته ، يقول من الكامل [16]:

هب للديار بقية الجلد
ودع الدموع وباعث الكمد

واذهب بنفسك أن يقال سلا
وصفا لداعي العذل والفند

أتصد عن طلل رعيتَ به
ما شئتَ من هيف ومن غيد

طوت الليالي من معارفه
ما كان من عَلَمٍ ومن نَضَد

أمسى الهوى فيه بلا أثر
وجرى البلى فيه بلا أمد

ولقد عهدتُ رباه جامعةً
بين الظباء الغيد والأسد

أيام من فتك الغرامُ به
يمشي بلا عقل ولا قَوَد

يعبر الرضي عن حالة نفسية متأزمة ، فهو يشهد من جانب نزاعاً داخلياً ، بين الالتزامات ، والقيود الاجتماعية التي تحضر عليه البوح بمكنونات حبه ،وعواطفه حين تنفجر ، معبرةً عن نفسها من خلال الدموع والحسرات النازفة إثر جروح الفراق ، وبين رغبته النفسية في التعبير عن ذلك الحب ، والهيام ، لكنه ينتصر في الاخر لنفسه، وحبه ؛فيدع عواطفه لتكون صوتاً عالياً في وجه كل عاذل ومعاتب، مع ملاحظة أن ((الأمكنة التي تظهر في هذه المقدمة ، هي أمكنة مخربة ؛ لكننا وعبر النص الشعري ، نصل الى ملامحها الأولى ، حيث كانت آهلة ممتعة . إنه افتقاد المكان الأصلي ، وما يصاحبه من مشاعر الحنين ، واللااستقرار ، حيث تتقابل الصور، ويقف الحاضر والماضي كقطبين مركزيين، تتفرع عنهما مجموعة من الثنائيات تجسد صورة المكان الذي يهجر جغرافيته المحددة ليتحول الى عتبة معاناة))(17).

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

إن محاورة الأطلال عادة شعرية، درجت عليها أجيال الشعر المختلفة غير أن ما يميز بعضها ، هو عمق التساؤل الذي يطرحه الشاعر ، وربطه بالواقع المعيش ، وشاعرنا هنا ، وهو يحس بالاغتراب الفعلي والنفسي عن زمنه يطرح سؤالاً عادياً (لمن دمن) غير أن الإجابة عنه تكتنه بعداً فلسفياً ، يغور في أعماق النفس المتجبرة ، والقادرة على مراجعة عواصف الحياة ، فهو يقول من الوافر [18]:

لمن دِمنٌ بذي سلمٍ وضالِ
بَلينَ وكيف بالدمن البوالي

وقفتُ بهن لا أُصغي لداعٍ
ولا أرجو جواباً عن سؤالي

أيا دار الألى درجتْ عليها
حوايا المُزن والحججُ الخوالي

فأيّ حياً بأرضك للغوادي
وأي بلى بربعك لليالي

.....
.....

فلولا الشوق ما كثر التفاتي
ولا زمت الى طلل جمالي

وإني لا أوامق ثم إني
اذا وامقت يوماً لا أُقالي

انا ابن الفرع من أعلى نزار
ومن يزن الأسافل بالأعالي

يفتتح الشاعر نصه بتساؤل إيهامي عن الطلل (لمن دمن) ، فهو يعرف المكان بكل حيثياته ، وتفاصيله ، لكنه يوهم القارئ بانه يشك فيه وينكره ، وفي ذلك ما يبعث النشاط والحيوية في ذهن المتلقي ، متوقعاً أن المسؤول سيرد جواباً ، لكن الشاعر يكسر أفق التوقع ، ويضع نفسه وقارءه أمام حقيقة خرس هذا الجماد (ولا أرجو جواباً عن سؤالي) إعلاناً عن انتصار قوة الزمن على رغبة البقاء ، ملحقاً التساؤل الأول بتساؤلين آخرين ، يؤكدان اندثار الديار وفنائها . إن الحضور القوي للطلل في وجدان الشاعر أتى من خلال ابرازه لمشاعر الألفة تجاهه ، والمختلطة بأحاسيس الحب والاشتياق . ولعب الزمن هنا دوراً فاعلاً في توجيه الرؤية الفنية للنص ، إذ ((يبرز الزمن غير المباشر بشكل واسع في مقدمة الطلل ، بل ويسيطر على حركته ، فهو زمن نراه من خلال ما أصاب الطلل من تشويه كبير ؛ بفعل العمق الزمني المنسكب عليه ،عبر حركة الطبيعة بأشكالها المتعددة وفصولها، وعبر حركة الرياح ، والحيوان المستمرة بالحدث التي دلت على زمن بعيد مستنزف))[19] .

وقد يكون التذكر في الموقف الطللي عتبة ، يدخل من خلالها الشاعر الى عالم الشباب ، ذلك العالم الذي كان يفيض عليه بالحياة ، ويشعره بالديمومة . فالوقوف على الطلل ، كان في الحقيقة ، وقوف على الزمن الجميل ، زمن الشباب ، والفتوة ، والجمال ، والمرح ، يقول من الكامل [20]:

ولقد مررت على الديارِ فعزّني
جَلَدي وكان أعزَّ منه تجلّدي

لولا مكاثرةُ الدموعِ عشيةً
لعرفتُ رسمَ المنزلِ المتأبدِ

لهفي لأيامِ الشبابِ على نَدَى
أطرافِهنّ وظلّهنّ الأبرد

أيامَ أنفُضُ للمِراحِ ذوائبي
وأروحُ بينَ مُعذّلٍ ومُفنّد

ومرجّلين من الحِمامِ غرانِق
مثلِ الغصونِ ثيابُها الوَرَقُ النّدي

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

مُتَمَلّينَ من الشّبابِ كأنّهم
أقمارُ غاشيةِ الظلامِ الأربدِ

صُقلت نصولُ خدودِهم بيدِ الصّبا
مُردُ العوارضِ في زمانٍ أمرد

تستنبط الألحاظ ماءَ وجوههم
فيكادُ ينقعُ من غضارتها الصدي

إن المرور على الديار أثار في نفسه الحسرة والأسى ، وعبر عن ذلك بتلاعب لفظي ، تمكن فيه من إثارة ذهن المتلقي ، حين قال : (عزّني جلدي فكان أعز منه تجلدي) ، فتجانس الألفاظ يوهم باتفاق المعنى والدلالة ، لكن بشيء من التركيز وبذل الجهد ، نجد الاختلاف الشاسع بين معنى الاستسلام في عبارة (عزني جلدي) ، ومعنى التمرد في عبارة (أعز منه تجلدي) ، وهنا تكمن قدرة الشاعر في اجبار متلقيه على اتباع الالفاظ ، والعبارات للوصول الى المعنى المطلوب . مع ملاحظة استعماله لمفردة (لهفي) كنقطة بداية لطقوس الوقفة الطللية ومنطلق لسرد ذكريات الشباب السعيد .

إن موقف الهزيمة والانكسار الذي يلف الوقوف على الأطلال ، والذي غالباً ما يتمظهر في مغالبة الدموع ، يعكس صراعاً عميقاً بين النفس الإنسانية ، ونظرتها للزمن ((وتشكل دموع الشاعر إحياءاً واعياً للديار الموات ؛ نتيجة اقترانها بتعلق الشاعر بالمكان الذي حوى محبوبته وأهله ، وهذه الدموع وإن كانت ترمز الى مرثاة للحياة الانسانية ، فإنها تفصح عن قيمة الحياة في نظر الشاعر ، وعن رفضه لتفوق المكان على الانسان))(21)

إن الشاعر الفذّ هو الذي يقدم لنا رؤية جديدةً في كلّ نص ، فالأخير هو وليد اللحظة الشعورية للمبدع ، واختياره للمفردات ينبع من إحساسه في تلك اللحظة ، يقول من مجزوء الكامل [22]:

أترى ديارَ الحيّ بال
جزعين باقيةَ الخيامِ

أم فرقتهم خلفةُ الـ
أيام أو نجعُ الغمامِ

ماذا على الركبان لو
حيوا طلولكَ بالسلامِ

أو بلغوا عن واجد
لفَّ الضلوعَ على الغرام

دارٌ وصلتُ بها الهوى
وقطعتُ أقرانَ الملامِ

وبلوتُ من سكرِ الشبابِ
أجن من سكر المدامِ

أيام أنظر في معا
طفِ شملتي نظرَ القطامي

وأروح قائد فتية
سود الغدائر والجمام

هنا يجابهنا الشاعر بحرف الاستفهام (الهمزة) ، متصلة بالفعل (ترى) والرؤية التي يريدنا الشاعر أن نركز النظر عليها ، ليست الرؤية المكانية الحقيقية ، بل هي الرؤية الخيالية ، فالشاعر لا يترجم الواقع كما هو ، بل يعيد بناءه عبر أحاسيسه ، ومشاعره ،وأفكاره ، ورؤاه ، فالتساؤل هنا عميق ، يستهدف تبيان أثر الزمن . ذلك الزمن الذي حول كل ما هو جميل الى شيء اخر ، فما كان منه إلا أن يتعاطى مع هذه اللحظة باستحضارٍ لأجمل صور الماضي البهي ، إن الحضور هنا نفي للغياب مع التركيز على ثنائية الامتلاك والافتقاد ، اشياء مفتقدة في الزمان الحاضر ، حاضرة في الذاكرة والوجدان ، فالتساؤل عن بقاء الديار يستحضر إمكانية فنائها ، واندثارها وحضور الركبان أمام الديار ، يستلزم بالضرورة غياب المحب المشتاق ، واستذكار زمن الشباب ، وصور الفتوة تقابله صور

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

الشيخوخة وكبر السن ((ولعل الذين برعوا في القول الشعري إنما كان السر في ذلك هو نظرتهم الى العالم ،والى الذات ، والحالات ، والمجتمع من حولهم نظرة تقابلية فصاغوا أبنية نصوصهم تبعاً لذلك))[23] ، والملاحظ هنا إن التعبير اللوني تمكن من الإيحاء بالدلالات الشعرية المشحونة بعاطفة الذكرى ، فتعبيره (سود الغدائر والجمام) يؤكد معاني الشباب والفتوة ، ويمنح النص طاقة تعبيرية مهمة ، فضلاً عن القيمة العليا للاستعارة الواردة في البيت السادس (سكر الشباب) ، فشبابه لم يكن شباباً عادياً بل كان مقترناً بحالة تشبه حالة السكر حين يفقد الانسان السيطرة على نفسه وعقله ويصبح مقروناً بهواه ، وما عمّقَ هذه الدلالة هو صيغة التفضيل (أجنّ) المتعلقة بالمقارنة بين (سكر الشباب وسكر المدام) .

الخاتمة

خلص البحث الى النتائج الاتية :

1 – إن مشهد الطلل في القصيدة العربية ، جزء أصيل من التقاليد الشعرية التي واكبت الشعر القديم في كل أزمانه .

2 – أكد البحث على الوحدة العضوية لقصيدة الشريف الرضي ، وذلك من خلال الانسجام المتحقق بين لوحات القصيدة المختلفة .

3 – لقد كان الوقوف على الطلل مساءلة من الشاعر لماضيه ومحاورة مع مشاعره.

4 – امتازت المقدمة الطللية عند الرضي بالبعد عن التصنع والتكلف ؛ كونها صدرت عن طبعه معبرةً عن مشاعره وأحاسيسه .

5 – برزت الأطلال كمثير صناعي ، أو بديل عن الحبيبة البعيدة

6 – إن المشهد الطللي وهو اجترار للماضي السعيد وذكرياته ، أتى في سياق رفض الشاعر لحاضره .

7 – إن الشريف الرضي سلك مسلكاً حضارياً في تناوله للأطلال ، فهو لم يتحدث عن بعر الآرام ، ولم يذكر الحيوان ، بل جلّ ما فعله هو استذكار الماضي السعيد ، حيث كان عوده طرياً ، وحياته مليئة باللعب والتصابي .

8 – يبدو الإحساس بالزمن في المقطع الطللي مختلفاً عند الشاعر ، فهو في تناوله للزمن الماضي يعطيك إحساساً أن هذا الزمن قريب نفسياً وإن بعد زمانياً .

9 – لقد كان المطر عنصراً ملازماً للمقطع الطللي ، وتبين أن الإلحاح على نزول المطر ما هو إلا إلحاح على استعادة الديار لمعالمها ونشاطها .

10 – نوع الشاعر في استعماله الأساليب الفنية المختلفة في عرض المعنى كالجناس والتضاد والاستعارة ، وهذا ما أكد اهتمامه بالوظيفة الفنية والأدبية للخطاب كونها تشكل شعوراً لدى المتلقي فضلاً عن الوظيفة التواصلية .

11 – وقفنا من خلال النصوص على عادة محاورة الاطلال ،وما تطرحه من تساؤلات عميقة وتبيان أثر الزمن في توجيه الرؤية الفنية للنص .

12 – إن الوقوف على الطلل عند الشاعر كان في الحقيقة وقوف على الزمن الجميل ، زمن الشباب والفتوة والجمال .

13 – شكلت دموع الشاعر في المقطع الطللي إحياءا واعياً للديار الموات وعكست صراعاً عميقاً بين النفس الانسانية ومغالبتها للزمن .

الهوامش

1. مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : حسين عطوان : دار المعارف : مصر : 227 .
2. المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين : زياد محمود مقدادي : عالم الكتب الحديث : اربد : 2009 : 9 .
3. الغزل في العصر الجاهلي : أحمد الحوفي : دار نهضة مصر : القاهرة : 300 .
4. ديوان الشريف الرضي : شرحه الكتور محمود مصطفى حلاوي : دار الأرقم بن أبي الأرقم : بيروت : ط1 : 1999 : ج1 : ص 314 .
5. نظر : الرؤى المقنعة : كمال ابو ديب : الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة : مصر : 1986 : 321 .
6. الصورة الفنية في النقد الشعري : عبد القادر الرباعي : دار العلوم للطباعة والنشر : الرياض : السعودية : 1984 : 131 .
7. الديوان : ج1 : ص 375 .
8. مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : حسين عطوان : 227 .
9. الديوان : ج1 : ص381-382 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

10. الصعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف : مكتبة غريب : مصر : 1981: ص 226 .
11. النص واشكالية المعنى : عبد الله العضيبي : الدار العربية للعلوم ناشرون : بيروت : ط1 : 2009 : 12
12. الديوان ج1: ص407 .
13. ينظر: الصدق الفني في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري : الدكتور عبد الهادي خضير نيشان : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد : ط1 : 2007 : 26 .
14. تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام من امرئ القيس الى بن أبي ربيعة : شكري فيصل : دار العلم للملايين : بيروت : لبنان : ط7 : 1986 : 59-61 .
15. ينظر جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً : الدكتور يوسف عليمات : المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت : لبنان : ط1 : 2004 : 133 .
16. الديوان : ج1 : ص436 .
17. بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري : فتحية كحلوش : الانتشار العربي : بيروت : لبنان : ط1 : 2008 : 69 .
18. الديوان : ج2 : ص152-153 .
19. أثافي الطلل دراسات في الشعر العربي القديم : الدكتور رعد احمد الزبيدي : دار بغداد : بغداد : العراق : ط1 : 2014 : 141 .
20. الديوان : ج1 : ص398 – 399 .
21. جماليات التحليل الثقافي : 135 .
22. الديوان : ج2 : ص 292 _ 293 .
23. تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي : محمد بازي : الدار العربية للعلوم ناشرون : بيروت : لبنان : ط1 : 2010 :79 .

المصادر والمراجع

1 – أثافي الطلل دراسات في الشعر العربي القديم ، الدكتور رعد احمد الزبيدي ، دار بغداد ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 2014 .

2 – بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، فتحية كحلوش ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 .

3 – تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام من امرئ القيس الى ابن أبي ربيعة ، شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط7 ، 1986 .

4 – تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي ، محمد بازي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 .

5 – جماليات التحليل الثقافي ، الشعر الجاهلي نموذجاً ، الدكتور يوسف عليمات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 .

6 – ديوان الشريف الرضي ، شرحه الدكتور محمود مصطفى حلاوي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط1 ، 1999 .

7 – الرؤى المقنعة ، كمال ابو ديب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1986 .

8 – الصدق الفني في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ، الدكتور عبد الهادي خضير نيشان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2007 .

9 – الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف ، مكتبة غريب ، مصر ، 1981 .

10 – الصورة الفنية في النقد الشعري ، عبد القادر الرباعي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، السعودية ، 1984 .

11 – الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

12 – مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، حسين عطوان ، دار المعارف ، مصر .

13 - المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين ، زياد محمود مقدادي ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، 2009 .

14 – النص وإشكالية المعنى ، عبد الله العضيبي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2009 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2327-2336

Summary

The research has handled the ruins scene in the poems of Al Sahreef Al Radhi with an attempt to depict the most distinguishing artistic and literary factors .this is done through tracing stanzas whose significance and great role have been revealed as they represent the total image constituents of the poem. These stanzas had also expressed the poet's experience and passions which turn to be e memoir of the good old days and a rejection of the societal restrictions and time-awareness questioning .throughout some mechanisms, the poet appears victorious, not defeated in the face of the spatial obliteration.

The research consists of an introduction which points out the significance of ruins as treated in the old poesy. This is followed by the text, then the conclusion which reveals the most important results. The paper is annexed by a list of references.